وصيفات الشّرف

للفنان الإسباني دييغو فيلاسكيز ١٦٥٦

نبذة تأريخية: تعد هذه اللوحة واحدة من أعظم الأعمال التشكيلية في تاريخ الفنّ الغربيّ كلّه، كما أنها الأكثر إثارةً للغموض والنقاش والجدل وبعض النقّاد لا يتردّد في وضعها في منزلة متقدّمة حتى على الموناليزا أو الجيوكندا.

ومنذُ أن رسمها قبل ثلاثة قرون ونصف وهي تتبوّأ موقع الصّدارة في كافة القوائم المخصّصة لافضل الأعمال التشكيلية في العالم وقد كتب بيكاسو (٤٤) دراسة عن هذه اللوحة ورسم سلسلة من اللوحات وعددها (٥٨) أعطتها تفسيرات متباينة.

قد رسم هذه اللوحة في قصر الكازار في مدريد عام ١٦٥٦ وهي تصوّر "انفانتا مارغاريتا" كبرى بنات الملك وهي محاطة بوصيفاتها وكلبها ، وعمد فيلاسكيز إلى رسم نفسه ايضا في اللوحة، وهو يظهر هنا منهمكاً في الرّسم ومرتدياً ملابس محاربي القرون الوسطى.

وأول ما نشعر به ونحن نطالع اللوحة أننا نشغل جزء من المشهد حيث نقف الى جوار الملك والملكة نتأمل طلعتيهما المعكوسة في المرآة البعيدة المعلقة أمامنا .

ومايميزها هو النظام الصارم الذي فرضه الفنان على اللوحة التي قسمها الى أربعة أقسا أفقية والى سبعة أقسام رأسية حيث تكون الوصيفتان والقزمان معا مثلثا يضم ثلاثة مثلثات فرعية تتوسط الأميرة أحدها والغريب الذي نجده بين هذه التنويعات والحقيقة من صلة فليس ثمة شيء في غير مكانه الصحيح وليس ثمة حركة جاءت زائدة كان يرى أن صدق التعبير الفني مرهون بدقة أختيار درجة اللون حتى بات تبسيط الرسم وعتمة اللون لايحولان بين الصورة ودوام قيمتها حين تكون علاقات الألوان مع بعضها محكمة وصادقة .

مهارة المرونة : ويمكن أن نلاحظها في أن اللوحة التي يفترض أن الفنّان يرسمها مخفية تماماً عن الأنظار ووسط الجدار الخلفي ثمّة مرآة تعكس صورة الملك والملكة والى يمين اللوحة في الخلفية بدا الحاجب كما لو انه يهمّ باستقبال زوّار ما الوصيفتان تظهران في وضع انحناء دليلاً على احترامهما وتقديرهما للأميرة الصغيرة التي ترتدي تنّورة واسعة ومزركشة.

ومع ذلك فإن الأميرة ووصيفاتها يبدين كالدّمى أو كالتماثيل الشمعية مقارنةً بالحضور الطاغي والقويّ الذي يفرضه الفنان نفسه على المشهد بأكمله.